11 me Année No. 535

Lundi - 4 - 10 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٣٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

... ومن أساليبهم

للأســتاذ عباس محمود العقاد

أشرنا في مطلع مقالنا السابق إلى أساليب الشيوعيين في نشر مذهبهم على الطريقة الصريحة ، وهي الإشادة بمحاسنه والقدح في نقائص النظم الأخرى ، أو على الطريقة الخفية – غير الصريحة – وهي الإكثار من التهم والعيوب التي يلصقونها بالنظام القائم دون أن يشركوا الشيوعية في أمثال هذه التهم والعيوب

ونرى أننا نحن المصريين والشرقيين عامة بأشد الحاجة في الآونة الحاضرة إلى التنبيه بعد التنبيه إلى هذه الأساليب الخفية لأنها أضر من صراحتهم في التبشير بمذهبهم ، ولأن الحيطة منها أقل ، والحذر من عواقبها ضعيف مهمل لضعف المعرفة بمراميها ودروبها التي تتسلل منها

وجملة ما يقال في هذه الأساليب أنها تتلخص في تشجيع كل عامل من عوامل الهدم والانحلال في المجتمع الذي يحاربونه ، وتحقير كل عامل من عوامل التماسك ، والثبات في ذلك المجتمع ، سواء تكلموا عن الأدب ، أو عن الفن ، أو عن السياسة ، أو عن الأخلاق

ولهم في كل بلد من البلاد نغمة يخصونها بها ولا يزالون يرددونها ، ولا يقرنونها بذكر الشيوعية الصريح حذراً من تنبيه الخواطر وإثارة الشكوك

الفهـــرس

فى الأقطار العربية مثلاً هم أنصار الكتابة باللغة العامية حيثما وقعت المفاضلة بينها وبين اللغة الفصحى

لأن اللغة العامية توافق حملتهم على العقائد الدينية كلها ، ومنها العقيدة الإسلامية التى هى قبل كل شىء عقيدة القرآن . ولأن اللغة العامية توافق دعوتهم إلى تغليب الطبقة العاملة التى يزعمون أنهم يهتمون بتعليمها ، وهم يسجلون عليها الجهل والاكتفاء بلغة الجهلاء ، ولأن اللغة العامية تقطع ما بين الحاضر والماضى ، وهم يقرنون بين الماضى والنظم الاقتصادية التى يحاربونها

وإذا سألتهم فى ذلك قالوا كما يقول أنصار العامية دائماً إن سواد الناس لا يفهمون الفصحى ، وإن اللغة الحية هى اللغة التى يتكلم بها الناس كل يوم

وكل هذا خطأ ظاهر كما فصلنا القول فيه بما كتبناه عن الفصحى والعامية ؛ لأن سواد الناس يجهلون المعانى العالية ولو كتبت باللغة التى يتكلمونها ، كما يجهلون الرياضة والفلسفة ومباحث العلوم المختلفة . فالعقدة هنا هى عقدة المعانى وليست بعقدة الألفاظ . ومن السخف قولهم إن اللغة الحية هى لغة السوق والطريق ، لأن اللغة الحية هى اللغة الخالدة التى تعيش مئات السنين ، ولا تموت كل بضع سنوات كما تموت لغات الطرق والأسواق . ولا غنى للانسانية عن هذه اللغة الخالدة ما دامت لها آداب مكتوب لها الخلود من جيل إلى جيل . وأسخف من دعواهم هذه قولهم إن الناس ينبغى أن يكتبوا كما يتكلمون كأنهم يريدون أن يلغوا الترجمة مثلاً ، وهى تنقل إلينا كلام الروسيين والبولونيين ، ونحن لا نتكلم لغة هؤلاء ولا هؤلاء ، سواء بألفاظ الأسواق أو ألفاظ الجامعات

* * *

ذلك أسلوب من أساليبهم الخفية فى الأدب ، وهم هنا يشاركون المبشرين ، ويشاركون المستعمرين ، ويشاركون كل من يكره معالم القومية فى بلاد الشرق ، وهم كثيرون

أما الفن فهم لا يدينون بآراء الغلاة من المصورين والموسيقيين كأنها آراء الشيوعية والشيوعيين ، ولكنهم يشجعون هذه الآراء فى البلاد الديمقراطية ، لأنها خروج على القواعد والأصول واندفاع مع الفوضى والاختلال ، أو مع الهدم والانحلال ، وهم أنصار كل عامل من عوامل الهدم بين الشعوب الديمقراطية

فلا يلزم — شيوعياً — أن يكون المصور من القائلين بالسريالزم و « الفيوشرزم » والكيوبزم وغيرها من المدارس التى تبطل قواعد التصوير كما عرفها أساتذة الفن فى جميع العصور ، ولكن هذه المدارس تعفى المصور من قواعد الرسم والتلوين والتشبيه ، وأصول الإضاءة والتظليل ، وترسله فى عالم من الفوضى لا توجد فيها قاعدة يتفق عليها رأيان

وهذه الإباحة هى المقصودة لأنها تفضى إلى هدم القواعد والقوانين ، وتزلزل أركان الفكر والذوق والاعتقاد فى المجتمع الذى يقصدونه بالخلط والتخريب

ومن مضحكاتهم ومضحكات نظرائهم فى هذا الباب أنهم يسمون إحدى مدارس الإباحة هذه بمدرسة « المستقلين » ، وهى فى حقيقتها رجوع إلى الهمجية التى تركناها منذ آلاف السنين . فإن صورهم وتماثيلهم لتشبه كل الشبه تلك الصور والتماثيل التى كشفت حديثاً فى حفائر الكهوف من بلاد نيجيريا وبورنيو وجنوبى الهند ، وسائر الأقطار التى كان يعمرها الإنسان الأول ، ولا تزال فيها إلى اليوم من الهمج المتخلفين

والعجيب فى أذواقهم أنهم إذا قصدوا محاكاة تلك الفنون الهمجية تحروا مشابهتها فى الردىء النافر الممسوخ ، ولم يتحروا قط مشابهتها فى مواضع الحسن والاتقان ؛ لأنهم منحرفون فى تكوينهم انحرافاً يظهر فى الخلقة إن لم يظهر فى الأخلاق والطباع

وعلى هذه الشاكلة مذهبهم فى الموسيقى والشعر والتمثيل ، ولكنهم يعتدلون بعض الاعتدال فى التمثيل لأنهم يريدونه لنشر الدعوة ، ويخشون أن يفتحوا أبواب المسارح على مقاعد خاوية إذا هم عمدوا إلى تلك « التقاليع » والتهويشات

* * *

ومن أساليبهم التى نص عليها كارل ماركس فى منشوراته أن « يشوهوا سمعة كل رجل مسموع الكلمة بين الديمقراطيين »

ولا حرج عندهم أن يختلقوا الأكاذيب ، وأن يعرضوا لشؤونه الخاصة ، وأن يذموا أعماله أقبح الذم ، ولو لم يكن عندهم دليل واحد على ما يذمونه منها

وإذا تكلموا عن الأدباء والشعراء الذين لا يؤمنون بالشيوعية عابوا عليهم أنهم حالمون وأنهم خياليون لأنهم لا يكتبون عن المسائل الاقتصادية ولا يقفون أقلامهم على أسعار الطعام واللباس وشئون الأموال والعمال

والأدباء الديمقراطيون لا يحرمون هذه الموضوعات، ولا يزال منهم من يعرض لها من الناحية الفنية التي هو أقدر على تصورها، وإنما يعلم الأدباء الديمقراطيون أن في الدنيا علماً اسمه علم الاقتصاد، وعلماء اسمهم العلماء الاقتصاديون، وإن هؤلاء أولى بدرس المسائل التي يفهمونها ويفرغون لها ويستطيعون الحكم فيها، لأن الأدب لم يخلق لإلغاء علم الاقتصاد

ومن مضحكاتهم ومضحكات نظرائهم في هذا الباب أنهم يهدمون مذهبهم من أساسه بهذا الهراء الذي يلفظون به وهم لا يشعرون

لأنهم يستكثرون على العامل الفقير أن يقضي في اليوم ثماني ساعات في طلب الرغيف والكساء، وهم يفرضون على العمال وغير العمال ألا يكون لهم شاغل في ساعات العمل أو ساعات الفراغ إلا طلب الرغيف والكساء، فلا يبحث الفيلسوف إلا ليؤدي بحثه إلى الرغيف والكساء، ولا يحلم الشاعر إلا ليفسر حلمه بالرغيف والكساء، ولا يخترع المخترع إلا لينتفع باختراعه في الرغيف والكساء، ولا يخرج العامل من عمله اليومي ليقرأ أو يستمتع بالفن إلا أن تكون هذه القراءة وهذا الاستمتاع حول الرغيف والكساء

ودون هذا وتحلق لحية كارل ماركس وكل لحية يطلقها أمثاله من أعداء الفنون وأعداء الحرية الإنسانية كأرفع ما تصبو إليه القرائح والأرواح

* * *

أما هدم المجتمع من ناحية الأخلاق فخلاصة أسلوبهم فيه أنهم لا يعرفون شيئاً يسمى جريمة خلقية

وقد عرضنا في كتابنا «عبقرية محمد» لمسألة الزواج والطلاق فقلنا بعد إثبات رأي نابليون: «... كذلك أعترف نابليون بالضرورات الزوجية في العصر الحديث. فكيف اعترف بها «لنين» في الثورة الكبرى بعد الثورة الفرنسية؟ حلَّ مشكلة الزواج بحل رابطة الزواج؛ فلا رابطة بين الزوجين أوثق من رابطة الرفيقين في الفندق أو الطريق. وَلَيْسَ أعجب ممن جعل الزواج شريعة ملائكة إلا الذي جعله على هذا النحو شريعة عجماوات»

قلنا هذا فغضب بعض الأدعياء «أولاً» لأننا كتبنا عن محمد كتابة تعظيم وثناء، وغضبوا «ثانياً» لأننا ذكرنا «لنين» بغير ما ينبغي له عندهم من التعظيم والثناء

وقالوا فيما اتصل بنا أن الطلاق مكروه في روسيا الحديثة، وأن الزوجين المطلقين يعيشان بين الشيوعيين معيشة هوان واحتقار

والذي قال هذا لا يعقل ما قال

وإلا فلماذا يلوم الشيوعيون إذن تلك الآداب التي كرهت الطلاق أو قيدته ببعض القيود أو جعلته محلاً للمراجعة؟

وما هي إذن تلك الجرائم الخلقية التي يعترف بها قانون الشيوعيين ويفرض لها عقاباً يناسبها في الضرر والوخامة؟

إن الحكاية كلها تطاول لا أدب فيه، وكلام يقوله القائل وهو لا يعقل معنى ما يقول

* * *

ومما أراه أنا أن تنبيه الأذهان إلى مساوئ الدعوة الشيوعية أوجب واجب على الكاتب المصري في الآونة الحاضرة، لأنها تمس الكرامة الإنسانية كما تمسها الفاشية والنازية، ولأن الشيوعية ليست مسألة أغنياء وفقراء، وإلا لكنت أحق الناس بالدعوة إلى الشيوعية أو بالسكوت عنها لبعدي عن الغنى اليوم وبعد اليوم، ولكنها مسألة الإنسان وكرامة الإنسان، وهل هو من المخلوقات التي تخاطب بلسان الروح أو من المخلوقات التي تخاطب بلسان المعدة. وكفى دليلاً على فاقة الشيوعية في دواعي الكرامة أنها على احتقارها للوطنية لجأت إليها في الحرب الحاضرة لاستنهاض الهمم وشحذ العزائم، فسمتها «الحرب الوطنية» في المنشورات الرسمية. وما كان أغناها عن هذا التمسح بالوطنية لو كان في المذهب الكفاية لصد الأعداء عن البلاد.

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

سبحان المنعم الوهاب — كن مع الله
تر الله معك — سخافات الأغاني الشعبية

سبحان المنعم الوهاب

قلت لصديقي الأستاذ عبد الحفيظ خليفة : إن فاكهة المنجة توحى إلى آكلها بأن يقول الحمد لله ، لأن حلاوتها حلاوة عبقرية ، فهي دون العسل في الحلاوة ، ولكن لها مَذاقاً يفوق الشهد بمراحل طوال ، ولذلك توحى إليَّ معانى من الشكران لا يوحيها أطيب طعام ولا أعذب شراب

فقال صديقي : عُرضت فاكهة المنجة على أحد الناس فرفض أكلها بحجة أنه لا يستطيع شكر الله على طعمها اللذيذ . وكان أحد الصوفية حاضراً فصرخ : وهل تستطيع شكر الله على هذا الكوب من الماء ؟

وعند هذه الكلمة سألت نفسي : كيف جاز أن يَرخُص الماء فلا تكون له تسعيرة في أعوام الحرب ؟

ثم أجبت : كان ذلك لأن الماء هو أساس الحياة ، فلا يعيش بدونه مخلوق ، ومن أجل هذا منحه الله بسخاء ، وهو الزاد الوحيد الذي يستوى الناس في الاحتياج إليه ، كما يستوون في الاحتياج إلى النور والهواء

وأنا من قبل هذا الخاطر بأعوام فكرت في صعوبة انتفاع الأراضي الفرنسية بمياه الأنهار ، لأنها كثيرة التفاوت في الارتفاع والانخفاض ، ولا يمكن أن تعتمد على مياه الأنهار في صيف أو شتاء . وكان الجواب أن الله أمد تلك الأراضي بالأمطار الثجاجة بالنهار وبالليل ، فهي في غنًى عن الأنهار ، ولو كانت في حلاوة نهر السين

وأنا أيضاً فكرت من قبل في استواء الأراضي المصرية ، وهو استواء حرمها جمال التفاوت في الحزون والسهول ، وكان الجواب أن الله جعلها كذلك ليقدر النيل على ريها بلا عناء

أمرُ الله في خلائقه أعجب من العجب ، فله تدابير تعجز عن وعيها كبار العقول ، وهو قد يجعل السعادة في الكوخ الحقير أضعاف ما يجعلها في القصر الكبير ، ليقول بالتلميح لا بالتصريح إن أمره الأمر في تقدير السعادة والشقاء

ثم نظرت في حالي وأحوالي منذ ثلاثين سنة ، فقد كان من أدبي أن أفرح علانية بطعام البيت ، وكان فرحي فرحاً حقيقياً ، لأن الطعام في تلك السنين كان غاية في نضارة المنظر وحلاوة المذاق ، بحيث صح عندي أن يد زوجتي هي وحدها اليد الصَّنَّاع في تأليف الصنوف الطريفة من أطايب الطعام المحبوب

ولكن يوماً صائفاً جاء بما لا أريد ، فقُدِّم إليَّ طعامٌ لا أشتهيه في أيام الصيف ، وكانت النتيجة أن أهمَّ بالاعتراض ، وعلى من أعترض ؟

إن زوجتي تحتمل غضبي ، ولا يصعب عليها أن ترضاني ، فهل ألومها على الذي اختارت من الطعام في ذلك اليوم الصائف ؟ في أقصر من لمح البصر تيقظ قلبي ، وأدركت أن الاعتراض على رزق الله بداية الانخذال ، وأني لو جحدت الرزق في أي صورة لذهب إلى غير معاد

أقبلت على الطعام كارهاً لأتقى غضب الله وإيذاء زوجتي ، فرأيته طعاماً شهيًّا لم أتذوّق مثله مِنْ قبل ، وكانت العاقبة أن أحمد الله من صميم الوجدان

إن نِعَم الله تواجهنا من كل جانب ، ويكذب من يزعم أن الله يتخلى عمن يتوكلون عليه في النعماء والبأساء

الله لا يتخلى عنا إلا حين ننساه

وهل يتخلى الله عنا حين ننساه ؟

إنه يتركنا لما نريد بأنفسنا ، فيحبِّب إلى من نعتمد عليهم أن يشغلونا عنه بالجاه والمال ، تأديباً للانحراف عن طريق الرشاد ؛ والعقاب الصارم هو أن تستغني عن الله وتحتاج إلى الناس

الديدان الجاهلات في أجواف الأحجار والثلوج أصدق إيماناً بالله من أشباه العلماء

والشجرة اليتيمة فى البادية القاسية ترى الله بأقوى مما تراه الأشجار المزوّدة بالأنهار الجارية

وهل حفظ تاريخ الملوك بقدر ما حفظ تاريخ الصوفية ؟

إن الفاجرين الذين صدّقوا فى فجورهم كانت لهم مكانة فى التاريخ القديم والحديث ، فكيف يضيع من آمنوا بصاحب العزة والجبروت ؟

كن مع الله تر الله معك

صديقى العزيز

هل تذكر حديثنا منذ أيام ونحن نقطع الطريق فى وهج الظهيرة من وزارة المعارف إلى ميدان باب الحديد ، مع أننا نملك اجتياز المسافة بسيارة لا تكلفنا غير دراهم معدودات ؟

هل تذكر أنى قلت لك إنى أحب أن أرى نعم الله على عباده لأزداد إيمانى ؟

وما ذا رأينا فى ذلك الطريق ؟

أنت لم تر شيئاً ، لأنك كنت مشغولاً بمحادثتى فى شؤون لا ينقلها سمعى إلى قلبى ، وسيطول بلاؤك بتلك الشؤون ، فهى لا تخرج عن منصبك وراتبك ، ولا تزيد عن شكواك من نظام الترقيات والعلاوات ، يا عبد الوظيفة ويا عبد التراب !

أما أنا فقد رأيت ورأيت ، فهل تحب أن تعرف بعض ما رأيت ؟

لقد اقتنعت بأن الله لم يجعل القاهرة مدينة البؤس ، كما يقول بعض الناس ، فمن السهل أن ترى العيون ألوفا من المنعّمين بالثروة والعافية والجمال

فى كل لحظة يقع النظر على وجه أصبح ، ويقع القلب على روح لطيف

وفى كل خطوة ترى طلائع من طلاب الرزق الحلال ، ترى عمالاً يكدحون ليعودوا إلى أهليهم فى المساء وجيوبهم عامرة وأنفسهم فى ابتهاج

وهل قامت تلك البنايات الشامخات إلا بسواعد أولئك الفتيان الضاحكين برغم شظف العيش وخشونة الثياب ؟

إن منظر ذلك البوّاب سرنى ، فقد أسند رأسه إلى الباب وغفا غفوة صريحة لن تظفر بمثلها فى سريرك ، يا مشغولاً بحظك الفضفاض من دنياك

ومن العجب العاجب أن ترى رجلاً يقرأ فى مصحف وهو على كيس أحد المخازن التجارية ، كأنه لم يسمع أن بدعة العصر توجب نسيان المصاحف والأناجيل !

وفى الشارع رأينا جنوداً يحتضنون زجاجات البيرة ، وبالقرب منهم رأينا عمالاً يحتضنون القُلل القناوية ، فأين السعداء من أولئك وهؤلاء ؟

صاحب الزجاجة يبتلعها ابتلاعاً قبل أن يحل عليه أمر الحاكم العسكرى بانتهاء الوقت المحدد للشراب ، وصاحب القلة يمتص منها رشفة بعد رشفة وهو فى أمان

هل رأيت ذلك الفتى ؟

إنه غلام لم تظفر بمثله قصور الملوك فى عصور الترف والطغيان ، فكيف رضى أن يكون عاملاً فقيراً ، وهو يستطيع بشبابه وجماله أن يكون زهرة فى بستان أحد الأغنياء ؟

فى مصر معنًى اسمه الشرف ، وهو معنًى ظفرت منه مصر بأعظم نصيب

وهل رأيت تلك الفتاة ؟

إنها ريحانة مطلولة ، وهى تستطيع الاتجار بالقلوب لو أرادت ، ولكنها لا تريد لأنها مصرية ، والمصرية نموذج فى التصون والعفاف ، ويكذب من يزعم أن مخاطر الحرب غيرت أخلاق المصريات

نحن بنينا مدينة القاهرة بأخلاقنا قبل أن نبنيها بسواعدنا ، والساعد المتين فرع عن الخُلق المتين

إنك لا ترى جلال الله فى أىّ مكان كما تراه فى القاهرة ، ولعلها أول مدينة ينتصر فيها الجد وينهزم الهزل

ألا ترى أن روح القاهرة ظل قهاراً برغم عوادى الحرب ؟

والذى يعوزك يا صديقى هو أن تكون مصريا مؤمناً بالله ، لتنتصر على أوهامك ، ولتكون من أعاظم الرجال

إنك تلومنى على أن أظل بين أقلامى وأوراقى ساعات من

كل يوم ، فهل تعرف السبب فيما اخترت لنفسى ؟

إنى أؤدى زكاة العافية ، وأنا أفهم كيف أراد الله أن يحمينى من قضاء ليلة واحدة فى سرير المرض ، على طول ما شرّقت وغرّبت فى السنين العجاف

وأنت يا صديق تنكر أن أضيع حظي ممن عرفت من أكابر الوزراء

وأقول إنى أخشى أن يغضب الله عليّ إن اعتمدت على سواه

قال صاحبى : كن مع الدنيا لترتفع معك

فقلت : وأنا لا أنخفض ليرتفع أصحابى !

سخافات الأغانى الشعبية

تقدم محطة الإذاعة من يوم إلى يوم ومن ليلة إلى ليلة أشياء تسميها الأغانى الشعبية ، وهى أغان يغلب عليها السخف ، لأنها تحاول دائماً أن تجعل لغة الشعب المصرى لغة بعض أبنائه من أهل الصعيد (! ؟)

والخطأ ظاهر فى هذه المحاولة ، لأن اللغة العامية للشعب المصرى هى لغة أهل القاهرة ، كما أن اللغة العامية للشعب الفرنسى هى لغة أهل باريس

وقد كان للصعايدة لغة خاصة يوم كانوا لا يتصلون بالعاصمة إلا بعد سفر يطول حتى يخترم أسابيع وأسابيع ، فكيف تكون لهم لغة خاصة بعد أن صارت المسافة بين القاهرة وأسيوط لا تزيد عن المسافة بين القاهرة ودمياط إلا بدقائق ، والمسافة هنا وهناك يقطعها القطار في مدة أقصر مما بين باريس وليون ؟

سمعت فى مساء اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول مغنياً يقول :

« طال بُعدك ولا ساجل عنى »

و « ساجل » هى « سائل » فهل سمعتم فى أى أرض عربية أن الهمزة تُنطق جيماً إلا على ألسنة الجهلة من أصحاب الأغانى الشعبية فى محطة الإذاعة المصرية ؟

إن لغة الخرطوم هى لغة القاهرة بالضبط الصحيح ، فهل ترون الخرطوم أقرب إلى القاهرة من أسيوط ؟

إتقوا الله فى مصر يا جماعة المتحذلقين من أنصار العامية ، فما يقول « ساجل » وهو يريد « سائل » إلا سخيف بلغ سخفه حدًّا لا يطاق

« طال بُعدك ولا ساجل عنى »

ذلك ما هتف به مغنٍّ فى محطة الإذاعة ولى عليه شهود ، فماذا يبتغى هذا الظريف ؟ أيزعم أن الصعايدة يجعلون الهمزة جيماً ، وذلك زعم سخيف ؟

إن لغة المصريين ارتقت رقياً عظيماً ، وصار فى مقدور صغار العوام عندنا أن يفهموا ما تنشره أعظم المجلات الأدبية بأيسر مجهود

ولكن محطة الإذاعة لا تفهم هذا القول

وأين محطة الإذاعة ؟ حدثونى فقد غاب عنوانها عنى !

إن جاريت المطرب الذى فرحت به فهى محطة « القزاعة » بالقاف ، ولن ألتفت إلى « سُقالها » إن وجهت إلىّ « السؤال »

الأغانى الشعبية فى محطة الإذاعة هى ردّة سخيفة إلى عهود لا نحب أن تعود

إن كانت محطة الإذاعة تريد أن تكون محطة بهلوانية فهى وما تريد ، على شرط أن تصرّح بأن أغانيها الشعبية عبث أطفال

الجد هو دستور الحياة ولو كان فى صورة الهزل ، فجدّى يا محطة الإذاعة لتكونى صوت الحق فى هذه البلاد

زكى مبارك

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ١٠٠ قرش ، و ١٠٠ قرش عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد .

مهمة تجديد الأدب العربى
بين الشباب وبين الشيوخ
للأستاذ دريني خشبة

سألنى بعض أصدقائى لماذا أومن بالشباب دون الشيوخ ، ولماذا أرجو أن ينهضوا دونهم بعبء إنهاض الأدب العربى ، وسد تلك الثغرات الشائنة فيه ، تلك الثغرات التى تجعل مصر والشعوب العربية جمعاء تعيش فى الماضى وتنجذب إليه أكثر مما تعيش فى الحاضر وتتشوّف إلى المستقبل ...

وأريد أن أصحح لأصدقائى ما وقر فى أذهانهم من أننى لا أومن بأدبائنا الشيوخ ، إذ أنا ، وقد جاوزت حد الأربعين ، أكاد أنحاز إلى معسكرهم ، منفتلاً من معسكر الشباب الذى يعز علىّ أن أفارقه ، ويسرنى أن أعيش فيه بقلبى ونشاطى وأفكارى وجهادى الأدبى المتواضع ... أريد أن أصحح لأصدقائى هؤلاء ما وقر فى أذهانهم من ذلك ، إذ أنا أول من يجل أدباءنا الشيوخ ، وأول من يعرف لهم حقهم الذى لا يمارى فى نهضتنا الفكرية والأدبية ، وفى تبوىء مصر تلك المنزلة الفريدة بين الأمم العربية ... صحيح أننى أغضيت عن ذكر أحد من شعرائنا الشيوخ فى سياق كلامى عن الدرامة المنظومة ... وقد أغضيت كذلك عن ذكر أحد من الشعراء غير المصريين ... أما لماذا أغضيت عن ذكر أحد من شعرائنا الشيوخ فليس سببه عدم الإيمان بهؤلاء الشعراء الأجلاء الأعزاء الذين سبقونا وعبّدوا لنا الطريق وأبانوا معالم النهضة ووصلوا ماضى الأدب العربى بحاضره ... إنما سببه تلك الروح الشؤمية السوداء المنتشرة فى معسكر هؤلاء الشعراء الشيوخ ... فأنت لا تكاد تتحدث إلى واحد منهم عن تخلف الأدب العربى على العموم والشعر العربى على الخصوص فى مسايرة الآداب العالمية ومواكبة ما يجد فيها من مذاهب واتجاهات حتى يعبس وتحس بالضيق الذى يكربه ، ويأخذ فى الشكوى التى لا معنى لها من قلة التقدير فى هذا البلد الذى قضى أن يعيش أدباؤه غرباء فيه ... ثم يضرب لك الأمثال ... فهذا العقاد لم يملك إلى اليوم قصراً ولم يقتن بعدُ ضيعة . وذاك المازنى ما يزال يجالد بقلمه ويجاهد بدمه وبينه وبين ثراء عزبة أو اقتناء أبعادية ما بين الأرض والسموات . وهذا أحمد محرم لا تستحيى الدولة من أن تمن عليه بأنها رثت لحالته وأرادت أن تقدره قدره فعينته أميناً لمكتبة دمنهور الأقليمية بهذا الراتب الضئيل النحيل القليل الهزيل من الجنيهات . ثم هذا أحمد الكاشف الذى لا أرى أن أجرح كبرياءه ـ هكذا يقول محدثى ـ فأذكر لك كيف يعيش ... ثم ذاك طاهر الجبلاوى الذى يسهر الليالى فى نظم درامته « ديك الجن » ، تلك الدرامة الشائقة التى تعجب بها وزارة المعارف ، ويقرها تفتيش اللغة العربية ، وتكتب عنها إدارة التمثيل التقارير الشافية الوافية ... ماذا كان جزاءه وماذا كانت مكافأته ؟ هل رأت درامته ضوء الشمس ؟ هل نفذت إلى أنوار المسرح ؟ هل أحس بها إنسان ؟ لقد نامت فيمن نام من أهل الكهف ياسيدى ... ثم هذا الشاعر النابغة « رشاد راضى » ناظم درامة « جميل وبثينة » ، ماذا لقى من زمانه وماذا لقى زمانه منه ؟ أشهد لو أنك قرأت تلك الدرامة أو شهدتها على خشبة المسرح لفضلتها ألف مرة على مجنون ليلى للمرحوم شوقى بك ؟ ! وذاك الشاعر النابه على أحمد باكثير ... لقد سهر المسكين عاماً وعاماً ثم عاماً ثالثاً فنظم درامة السماء أو إخناتون ونفرتيتى ، ودرامة ابراهيم باشا بطل مصر الأول ، ودرامة كذا وكذا وكذا ... وفكر فى الذى تفكر فيه من استحداث الشعر المرسل والشعر الحر فى الشعر العربى ، وابتدع فى ذلك وأبدع ، فهل أحس أحد به ؟ ها هى ذى درامته « السماء » مطبوعة ، وقد قام بطبعها إبان جنون أزمة غلاء الورق ، فهل تدرى كم نسخة بيعت ؟ وهل سمعت أن المسرح المصرى شهد تلك الدرامة الشائقة الفائقة ؟

وعلى هذا النحو أراد الشيخ أن يأكلنى ويشربنى لينتزع منى إقراراً بالموافقة على وجهة نظره التى تفيض بالشؤم ـ أقصد

التشاؤم ! ؟ - والتي تصدر عن روح كثيبة سادرة لم تعرف كيف تستهزئ بهذا الذى يسميه صاحبها قلة تقدير أو سوء إنصاف يقضيان أن تنحل أوصال الأدب وتفتر أعصاب الأدباء فلا يكون ثمة نشاط ولا يكون هنالك إنتاج ، لأن الحكومة قاتلها الله لا تبيح خزائنها لهؤلاء الأدباء ، ولأن الأمة صنع الله لها لا توليهم رعايتها ، ولأنهم يأمرون فلا يطاعون ، وينشدون فلا يجدون سميعاً ... ألا رحم الله شاعر المعرة الذى اعتذر لقاضى قضاة مصر ، أن يعيش فى دنيا من ذهب ، مؤثراً عيش الكفاف الذى جمل منه شاعر العربية وفيلسوفها الأكبر . ورحم الله دستوئفسكى وولتر سكوت وكارل ماركس ، ومئات الأدباء والشعراء الذين كانوا يذوبون جوعاً فى حين تتخم آدابهم وأشعارهم وأفكارهم أدمغة العالم ... إننا ما سمعنا قط أن أحدهم اتخذ من مسغبته حجة للانصراف عن الأدب أو التقاعس عن قرض الشعر ... لقد رجوت محدثى أن يبحث لى عن شاعرنا الكبير عبد الرحمن شكرى أين هو من عالم الشعر ودنيا الأدب ... وهو والحمد لله - غير محسود ولا مغبوط - فى سعة من الرزق ، ولم يفرض عليه أن يجالد بقلمه أو يجاهد بدمه ليعيش ... أين هو اليوم يا ترى ؟ أين بلبله الصداح وشحروره المغنى ؟ أين قيثاره وأين نايه وأين موسيقاه ؟ ثم رجوته أن يخبرنى لماذا هجر المازنى الشعر ... فلما عجز عن الإجابة توليتها أنا فأكدت له أنه عز عليه ألا يستحدث جديداً فى الشعر العربى ، وهو أعرف الناس بما عليه الشعر الإنجليزى من سمو وثروة واتساع ويسر ، فغثيت نفسه وضاقت بأوزان الشعر العربى التى لم تتجدد قط مدى ألفين من السنين ، اللهم إلا قليلاً ... ولو أن الأستاذ المازنى احتفظ للشعر العربى بميزته الشخصية التى هى الترجمة لأفاده فائدة جليلة القدر ... إلا أن الكسل قاتله الله صرفه عن ذلك أيضاً ...

أما العقاد العظيم فهو سيد شعراء المعانى غير مدافع ، والذين زعموا أنه لا شأن له بالشعر هم قوم قليلو البصر بالشعر ، بل ربما كان الأحسن ألا يكون لهم هم شأن بالشعر ... ولو أن العقاد كان يعنى بديباجته وتجويد أسلوبه الشعرى لخر أمامه أولئك النقاد جثياً ... لقد كان لنا فى العقاد أمل ضخم رددناه يوم أصدر ديوانه الضخم المشتمل على ملحمة « الشيطان » ، وكنا ننتظر أن يغزو العقاد للشعر العربى ميادين جديدة فى الملحمة والشعر القصصى والدرامة ... إلا أن العقاد انصرف عن ذلك إلى القصائد والمقطوعات . ولسنا نبالى السبب الذى صرفه عن ذلك ، إنما نبالى أنه أضاع أملنا فيه بعد إذ كان أملنا معقوداً به ... على أننا لا نزال نعلل النفس بالأمانى فى العقاد ، لأننا أعرف الناس بقدرته فى الإنتاج وصبره على الكفاح الأدبى نحو المُثُل العليا ... أما أحمد محرم فلسنا نعرف عن جهوده فى النظم التالى شيئاً بعد إسلاميته الرائعة الطويلة الجديرة بالإعجاب . ونحن نتوجه إليه بالرجاء أيضاً أن يستيقظ ، إذ هو فى نظرنا فى مقدمة شعرائنا تجويداً وطول نَفَس وتفضيلاً لفخامة العبارة وإشراق الأسلوب . وبهذه المناسبة أذكر شاعرنا الجارم الشيخ ... ذلك الشاعر الغزل الرقيق ... ماذا صنع فى دنياه غير تلك القصائد التي يوجد من أشباهها الشيء الكثير فى الشعر العباسى والشعر الأندلسى ... لعل المعاش الهانئ الذى يتمتع به الشيخ ، بارك الله لنا فيه ، أن يوفر له من الوقت ما يعينه على نظم ملحمة أو قصة وإن كنا نطمع أن ينظم ملاحم وقصصاً كثيرة ...

وأما الشاعر الكاشف فليس لدينا ما نقوله فيه ، ولا نملك إلا الدعاء له بحسن الحال ورغد العيش ... وأما شكوى صديقنا الجبلاوى من تعطيل درامته « ديك الجن » وما كان لهذا التعطيل من نكسة أدبية فى نفسه ، فأنا لا أقر وجهة نظره وأنا بالرغم مما سقته فى مقالاتى عن المسرح المصرى من لوم الوزارة ، لا أرى أن يتكل أدباؤنا على العون الذى يحلمون به من الدولة ، بل أرى أن يثور الأدباء على طريقة الإنتاج الأدبى القديم - أدب القصيدة والمقالة والمقطوعة - وإغراق السوق الأدبية بأدب القصة والدرامة - المنظومة والمنثورة - والملحمة والقصة المنظومة ... ثم أنا زعيم للصديق الجبلاوى بأن اليوم الذى يستطيع الأدباء أن يدوّوا بأصواتهم فى آذان الوزارة فتصيخ لهم وتستجيب لندائهم قريب لا ريب فيه ، وإن لم

تستجب الوزارة طوعاً فثمة وسائل لا حصر لها لإغرائها بالاستجابة . ويجب أن نستعد لهذا اليوم بأن نملأ أيدينا بهذه الألوان من الأدب التي يفتقر إليها الأدب العربي ... وفرصة الأدباء وافية مؤاتية ، فزعيمهم وعميد الأدب العربي لن يملك إلا أن يمد يده لتلك الحركة بالعون والمساعدة ، والعون والمساعدة إنما ينبغي أن ينحصرا أول الأمر في أن تطبع الدولة على نفقتها ثمرات قرائح أدبائها المجددين ثم مكافأتهم ولو في حدود « جهد المقل ! » ... وقبل أن أفرغ من استعراض شعرائنا الشيوخ لا أرى بداً من التنويه بالأستاذ فريد أبي حديد وكيل دار الكتب الآن وناظم مقتل عثمان وغيرها وغيرها ... ، فلقد سألته مرة ماذا أعد لسوق الأدب ، فتبسم ضاحكاً ثم قال مازحاً : « إن صواميله قد نمت ! وأن لا رجاء في عودتها للعمل ! » وأنا أسأل الله أن تخشن هذه الصواميل ليعود دولاب أبي حديد إلى المساهمة في ثورة الأدب العربي من جديد

هذا هو موقفنا من شعرائنا الشيوخ صريحاً لا لبس فيه ...

أما شعراؤنا الشباب فهم بكل صراحة أملنا ومعقد رجائنا في مستقبل الشعر العربي ... وقد بدأ كثيرون منهم يستجيبون لدعوتنا ... وقد وصلتني « عينات » شائقة بالفعل تنبيء بتباشير نهضة رائعة . ولست أذيع سراً إذا بشرت القراء الأعزاء بأن صديقي الشاعر النابه الأستاذ محمود الخفيف قد فرغ بالفعل من نظم ملحمة باكية في مقتل الحسين رضي الله عنه ... ولست أذيع سراً آخر إذا بشرتهم بما بشرني الأستاذ الخفيف من أن الشاعر المبدع علي محمود طه أوشك على الفراغ من نظم درامة رائعة سيفاجئ محبيه بها قريباً

ولا يفهم القراء من هذا الكلام الطويل أني أقصر نهضة الأدب العربي على ميدان الشعر فحسب ، فهنالك أدب القصة الطويلة الذي لم يستو على سوقه بعد ، وإن ظهر عندنا كتاب مبدعون قدموا لنا أقاصيص رائعة تبشر بمستقبل باهر لهذا اللون الهام من ألوان الأدب .. والظاهرة التي أحب أن أفتح عيون أدباء الشباب عليها وألفتهم إليها هي أن شيوخ الأدباء عندنا يملكون زمام هذا الميدان كله تقريباً ، ولا سيما في القصة المتوسطة ... فليُطلق شبابنا الأدباء بالهم إلى ذلك ، وليتنبهوا له ، ولتكن منهم فئة يعنون بأدب القصة الطويلة ، حتى إذا آل إليهم زمام الأدب في المستقبل القريب كانت معهم مؤنة تكفي لبناء شهرتهم وتخليد ذكرهم ... وليذكروا كذلك أن معظم روائع الأدب الغربي المترجمة هي من إنتاج الشيوخ دونهم ، وعلى هذا ، فينبغي عليهم أن يساهموا في الترجمة بنصيب

أما الأدباء غير المصريين فإلى مقال قريب إن شاء الله .

دريني خشبة

قصة دائرة المعارف الاسلامية

للأستاذ صلاح الدين المنجد

الأنسيكلوبيدية الفرنسية ، معجم شامل للمعارف الإنسانية ؛ أخرجته طائفة من علماء القرن الثامن عشر وفلاسفته وضمّنوه ثمرة دراساتهم الطوال ، فبدت فيه روح العصر وعاداته ، وطرائق أهله في المساجلات والمهاترات

لم ينشأ عن دائرة المعارف هذه ، بعث أدبي أو علمي ، فقد كانت نتيجة لعوامل شتى ، لا سبباً لها ، وكانت ملتقى تيارات تتعارض ونظريات تتضارب ، ويلاحظ الأستاذ (أوبيرتان Aubertin) في كتابه : « روح القرن الثامن عشر » أن هذه التيارات تنحصر في الأمور التالية

١ — الانطلاق : وكان مدلوله في القرن السابع عشر استقلال الفكر ، وشنشنة ضد الدين . وكان معناه في القرن الثامن عشر تظاهراً بالدعة مع الجحود والكفران

٢ — الروح العلمي . فقد هيمنت روح العلم على نفر كبير من الناس ، فأضحوا يتعلقون بالحادثات الواقعة . نابذين وراء ظهورهم ما وراء الطبيعة ، ثائرين على السلطان . وكانوا يفتخرون بالتقدم العلمي الذي رأوه آنذاك ، ويعتقدون أن الوقت قد حان لوضع أسس جـدُد ، ومناهج واضحة ، تسلكها الأجيال القادمة .

٣ — الرغبة في الاستقلال السياسي ، فقد مال الناس إلى احتقار سلطان الملكية ، والثورة عليـه ، والسعي في تحطيمه ، ليتقوى سلطان الشعب

٤ — الميل إلى تقليد الأجنبي وخاصة إلى تقليد انجلترة ؛ فقد كان الفرنسيون يرون في كل ناحية من نواحي السياسة والعلم والدين والأدب فيها مثلاً سامياً جديراً بأن يقتفى أثره ، وأن يقلد

فهذه الميول المختلفات . كانت مظاهر عالم جديد يريد أن يحيا . وكانت هـذه البيئة تحس في نفسها قوة وجلداً ؛ وترى أنها قادرة على تحطيم ما خلّفه لها الآباء والأجداد ، ولابد للناس أن يعلموا ما يخلفته الأجيال الخالية ، وما بذلته من جهود في سبيل رقي الإنسانية ، ولا بد لهم أن يدركوا كيف بدأ أجدادهم وإلى أية نقطة من طريق الإنسانية الطويل قد بلغوا . فدائرة المعارف كانت وسيلة إلى ذلك

***

ظهرت دائرة المعارف سنة ١٧٤٥ . فقد أُذن لصاحب مكتبة Le Bretorn آنئذ ، أن ينقل إلى الفرنسية دائرة معارف العلوم والفنـون L'Encyclopedie Des Sciences et des Arts التي ألفها الإنجليزي Chambers فاستشار ، ذاك الكتبي عددا من العلماء . وكانت هذه الاستشارات لا تجدى شيئاً . فعهد عندئذ إلى « ديدرو Diderot » بهذا العمل ، وكان ذا فكر ثاقب محيط . فرأى أنه يستطيع توجيه ذاك الكتبي نحو فكرة قد تـكون أكثر جدوى ، وأقرب نفعاً ؛ فلماذا ينقل إلى الفرنسية معجم ذلك الإنجليزي ؟ أليس من الخير لبلاده أن يكتب المعارف الإنسانية بفكر فلسفي ويقدمها للناس ؟ لا جرم أن ذلك يساعد على انتشار آرائه ، وتبيان ما يذهب هو والفلاسفة إليه ، ويكون وسيلة لجمع شتات فلاسفة عصره . وزين ديدرو للكتبي فكرته فقبل . وعندئذ اتصل بدالامبير D'Alembert وانعكفا على وضع نهج العمل

على أن نهج العمل واضح لا يحتاج إلى جهد وتفكير ، إنما الذي يدعو إلى التفكير هو الحصول على المال . فالمعجم سيكون كبيراً ، وهو يحتاج إلى نفقات قد تثقل عاتق الناشر . وعمدوا إلى اكتتاب بالاشتراك . وساعد على ذلك محافل الماسونيين في العالم كله ، واهتمت السلطات العامة بهذا الأمر . وتدفقت الأموال على الناشر وصاحبيه . وابتدأوا يعملون

وفي سنة ١٧٥٠ أخرج ديدرو المجلد الأول ، وفيه المنهج الذي سيكون المعجم عليه ، وتبيان ماسيتضمنه ويحويه . ومقاله لدالامبير سماها : Discours Prèliminaire

ولم يكد يظهر المجلد الأول حتى تهافت الناس على شرائه ؛ ونال رواجاً كبيراً ، وأبدى كثير من الكتاب والعلماء رغبتهم في مساعدة ديدرو ودالامبير

وظهر المجلد الثانى ؛ وفيه طعن ديدرو على القديم طعناً موجعاً ، وثار الناس على مقالة كتبها الأب دبراد محرر دائرة المعارف فى الإلهيات . وهب رجال الدين يطعنون على هذا المعجم الذى يسوق إلى الإلحاد ويدفع إلى الكفر ، واضطربت السلطة ، واضطرت إلى مصادرة الجزأين . وكاد ديدرو أن يسجن فى الباستيل ، ولكن الناشر ما زال يسعى حتى أذن له مرة ثانية بإخراجها

وما كادت سنة ١٧٥٧ تطلع على الناس حتى حدث ما لم يكن بالحسبان . فقد أثرت الأحداث السياسية فى فرنسة فكانت مؤامرة داميان Damiens ، الذى طعن لويس الخامس عشر بطعنة موسى ، وكان فشل روسباخ Rosbach مما سبب يقظة الشعور الوطنى والأخلاق . ودعا إلى شن هجوم شديد على أولئك الفلاسفة المخربين الهدامين . ومما ساعد على ذلك مقالة عن « جنيف » كتبها دالامبير ، وكتاب « الفكر Esprit » الذى كتبه « هيلفيتيوس Hélvétius » فازداد الطعن على دائرة المعارف ورجالها ، حتى اضطر الملك إلى إيقافها ، ولكن الناشر استطاع بعون من مدام دوميادور حظية الملك أن يصدرها . فصدرت وحمتها رجال الشرطة . وظلت تصدر حتى عام ١٧٧٢ إذ انفض عن ديدرو ، دالامبير وروسو ، وبقى وحده .

***

كانت دائرة المعارف كما ذكرت معجماً رتب على الحروف الهجائية . وكان يبحث فى الرياضيات والطبيعيات والإلهيات . وكان مراسلوها يذكرون ما وصلت إليه الإنسانية في كل علم أو فن . ويلاحظ دوكرو Ducros فى كتابه « رجال دائرة المعارف Les Encyclopedistes » أن ديدرو تنبأ بمستقبل الفنون الميكانيكية ، فكتب مقالات كثيرة عن كل صناعة وبين خططها وصورها

ولكن على رغم ذلك فإن دائرة المعارف ظلت خليطاً من أمور غامضة تارة ومضطربة أخرى . لا جرم أنه كان فيها الجيد ، ولكن كان إلى جانبه الرذيل الردىء . وسر ذلك أن مباحثها كتبت بسرعة دون تأمل أو روية

على أن الذى يدهشنى حقاً فيها تلك الروح المهيمنة عليها فى كل صفحة من صفحاتها ، بل فى كل سطر من سطورها . فلقد استطاع ديدرو ، بل وفق إلى انتقاء مراسليه من الفلاسفة الذين كان بينهم وبينه نسب فى الفكر والمذهب . فإذا تصفحت دائرة المعارف بدا لك هذا الفكر الفلسفى الذى لا يؤمن بكل أمر خفى ، ويسخر من كل أمر مطلق أو خارق ، ولا يعتقد بما وراء الطبيعة ، ويدعو إلى حرية الفكر والكلام والعمل

وما كانوا يصرحون بذلك تصريحاً تاما ، ولكنهم كانوا يدسون السم فى الدسم ، ويحشون مقالاتهم أفكاراً تسوق إلى ما يريدون . وقد كان من أشد ما يدعون إليه أن يحاربوا المذاهب والآراء التقليدية الموروثة ، وأن يسخروا منها فيصيبها التهديم

ومهما كان من أمرها ، فلقد كانت وسيلة لاجتماع رجال كبار . فقد كتب فيها : مونتسكيو وروسو وفولتير ، وكتب ديدرو ودالامبير ودجوكور ودبينتون Daubenton ومارمونتيل وغيرهم . .

ويلاحظ روستان فى كتابه (الفلاسفة والهيئة الاجتماعية فى القرن الثامن عشر)

Roustan, Les philosophes et la Société au XVIII. Siecle

أن مراسلى دائرة المعارف كانوا أشد حماسة من القائمين عليها . نرى ذلك عندما نقرأ مقالات كوندياك تلميذ لوك ، وهافيتيوس الذى دعا إلى المادية أجرأ دعوة ، وغيرهما

وما زالت دائرة المعارف تتستر ، حتى ظهر جلياً ما تدعو إليه . وعندئذ تركها روسو ، وراح يطعن عليها وينعتها بأنها آلة تهديم ، ويعتذر لنفسه بأنه كتب فيها عن الموسيقى ، وقد خفى عليه ما يريدون

ولكن طعن روسو ، ومن قبله طعن رجال الدين لم يفيدا شيئاً ، فقد انتشرت انتشاراً سريعاً ، فقرأها البرجوازيون المثقفون ، وقرأها بعض الكهنة ، وأعجب بها المحامون . ولئن انفض عنها رجالها ، ثم توقفت ، فلقد غرست فى العقول الشك ، وساقت الناس إلى حدث اجتماعى عظيم هو الثورة الفرنسية .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

٣ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

وكما أجاد المسلمون فن الخط ، فقد بلغوا في الزخرفة شأواً بعيداً أقل ما يشهد به أن كلمة (الأرابسك) عَلَمٌ — في تاريخ الفن — على نوع معين من الزخرفة ابتدعه الفنان المسلم . حقاً إنه لم يبتكر وحدات زخرفية جديدة بل استعمل ما وجده بين يديه من مخلفات الفنون السابقة على الإسلام ، إلا أنه لا سبيل إلى إنكار مقدرته في طريقة رسم هذه الوحدات الزخرفية وتوزيعها والتأليف بينها وتنسيقها تنسيقاً يجعلها تبدو كأنها اخترعت لأول مرة وما هي كذلك ، ولكنه صهرها في بوتقته ومزجها بفلسفته وسلّط عليها أشعة عبقريته فخرجت من بين يديه فناً جديداً لا يخفى عليك أصله ولكنك لا تستطيع أن تنكر عليه شخصيته القوية الواضحة

لم يخترع أشكالاً هندسية جديدة ، ولكنه بالغ في تقسيمها وتحليلها ، تراها تارة متشابكة ، وأخرى متداخلة ، وأحياناً متلاصقة وأحياناً متباعدة ، حتى ليصح لنا أن نقول في اطمئنان إنه بعث في هذا النوع من الزخرف روحاً من لدنه فبدا في ثوب من الجمال قشيب لم يكن له قبل الإسلام

ولم يبتكر وحدات نباتية أو حيوانية بل رسم الأزهار والأشجار والأوراق والسيقان ، والطيور والحيوان بعد أن حورها تحويراً كادت معه أن تفقد شخصيتها كوحدات نباتية أو حيوانية ، ولكنها وإن بعدت عن الطبيعة فقد دلت على سعة خيال مبدعها وصفاء قريحته

ونفر من الفراغ ، وكره أن يرى سطحاً عاطلاً من الزخرف فكرر الوحدات الزخرفية المذكورة تكراراً يمكن أن يستمر دون أن يقف عند حد

هذه المظاهر الجديدة إتقان الزخرفة الهندسية ، وتحوير العناصر النباتية والحيوانية ، وتكرار الوحدات الزخرفية ، والنفور من الفراغ ، هي في الغالب نتيجة لبعض توجيهات في الدين الإسلامي : فقد كان التصوير — وسنتحدث عنه فيما بعد — أمراً غير مرغوب فيه عند كثير من المسلمين نظراً لما حام حول مزاولته من شك ، فانصرف نشاط الفنانين إلى نواح أخرى ؛ ولعلهم كانوا متأثرين في بعض ما اتجهوا إليه بما روى في صحيح البخاري (كتاب البيوع) عن سعيد بن أبي الحسن إذ يقول : « كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال : يا ابن عباس ، إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاوير . فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، سمعته يقول من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً .



مثال من « الأرابسك » على الخشب من زخارف منبر ابن طولون — من كتاب تاريخ ووصف الجامع الطولوني للأستاذ « محمود عكوش »

فربا الرجل ربوة واصفر وجهه ؛ فقال ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح » فلا عجب إذا بلغت الزخارف الهندسية على يديهم ذروة الإجادة ، وأصبحت الزخارف النباتية آية في الإبداع والإتقان وإن كانت بعيدة عن تمثيل الطبيعة تمثيلاً صحيحاً في معظم الأحيان ، شأنها في ذلك شأن الزخارف الحيوانية التي ترخص في رسمها بعض الفنانين . على أن هذا البعد عن الطبيعة لم يكن نتيجة لضعف في الملاحظة أو نقص في القدرة بل هو ، في أغلب الظن ، مقصود لذاته ، ولعله ناشيء عن تلك العقيدة التي يؤمن بها كل مسلم أشد الإيمان : ذلك أن البقاء لله وحده ، وأن العالم بمن فيه وما فيه مآله إلى الزوال (كل شيء هالك إلا وجهه) (كل من عليها فان ، ويبقى

وجه ربك ذو الجلال والإكرام) . وليس من اللائق وهذه العقيدة منقوشة فى أذهان المسلمين جميعاً أن يخلد رجال الفن منهم بأعمالهم الفنية ما كتب الله عليه الفناء ، لذلك نجدهم لم يعنوا بتصوير الشخصيات العظيمة فى لوحات كبيرة أو تماثيل ضخمة تبقى على الدهر ، أو تمثيل جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلاً صحيحاً ، بل يأخذون من عناصرها ما يرون ، ويهذبون فيه ما شاءت لهم ميولهم ومواهبهم الفنية ، ثم يكوّنون من هذه العناصر المهذبة زخرفة لا تمت إلى الطبيعة بصلة ، قوامها أغصان نباتية متشابكة يتفرع بعضها من بعض، وأوراق أشجار مختلفة يخرج بعضها من بعض، وأزهار وفواكه تنبت من الأوراق أحياناً ومن الأغصان أحياناً أخرى ، وهى فى مجموعها تعطى منظراً ترتاح له العين ويسر به الفؤاد



مثال من « الأرابسك » على الحجر – من زخارف المئذنة الجنوبية لمسجد الحاكم بأمر الله – من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

ويعنى الفنان المسلم عناية واضحة بالتفاصيل الدقيقة ، ويميل – بل ويسرف فى هذا الميل أحياناً – إلى عدم ترك فراغ ملحوظ بين الوحدات الزخرفية ، وربما كان مسوقاً إلى ذلك بفكرة كامنة فى نفسه تجعله حريصاً على أن يخرج زخرفته بحيث لا يستقر النظر فيها على شىء معين يترك فى الذهن صورة واضحة تحتل بؤرة الشعور . أما هذه الفكرة فهى رغبته فى الحيلولة بين نفسه وبين الغرور الذى يملك الفنان أحياناً عند ما يتأمل فى أثره الفنى فيراه واضح المعالم والخطوط ، ويدرك أنه استطاع أن يرسم بريشته ما يضاهى به خلق الله . كما أنه أيضاً قد أمن – فى نفس الوقت بطريقته هذه – استغراق الناظر لذلك الأثر الفنى فى جمال الأثر فينسى مبدع الكائنات وهو يتأمل فيما صنعه الإنسان



مثال من « الأرابسك » على النسيج – من زخارف إحدى الخلع التى ترجع إلى عصر المستعلى بالله الخليفة الفاطمى – من كتاب الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية لمحمد عبد العزيز مرزوق

على أن هناك ظاهرة فى الزخرفة الإسلامية تلفت النظر ، تتجلى لنا فى الوحدات الزخرفية التى نرى فيها طائراً ينبت من جناحيه وذيله أغصان تتصل بها أزهار ، أو سمكة ينتهى ذيلها بفرع نباتى ويخرج من رأسها وجسمها أوراق أشجار ، أو رأس آدمى مركب على جسم طائر ذيله عبارة عن غصن طويل ملتف على نفسه ، أو قطعة من خشب على شكل قيثارة مثلاً يخرج من جانبيها الأيمن والأيسر رأسا حصانين فى فم كل منهما لجام يتخلص من طبيعته هذه بالتدريج حتى يصبح فرعاً نباتياً تتصل به أغصان وأزهار ، وينبت من أذن كل منهما فرع نباتى يدور حول نفسه أولاً ثم يتفرع إلى فروع عدة ، أو غير ذلك من الوحدات الزخرفية التى يجمع فيها الفنان عناصر الطبيعة المختلفة من حيوان ونبات وجماد بحيث يخرج بعضها من بعض ؟ وكأنه فى عمله هذا يرى أن المخلوقات كلها سواء يستوى لديه

الحيوان والإنسان والنبات والجماد باعتبار أنها لا تثبت على صورة واحدة بل تتغير من حالة إلى حالة وليس لها جميعاً إلا وجود زائل سائر إلى الفناء بينما الخالق وحده هو الحق الباقى الذى لا يعتوره تغير ولا يلحقه فناء . والغالب أن الفنان المسلم متأثر فى اتجاهه هـذا بتلك الآية الـكريمة التى نزلت فى إبراهيم عليه السلام والتى تشير إلى أن الثبات وعدم التغير من صفات الحق وحده دون مخلوقاته التى من شأنها التغير . يقول جل شأنه : (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال إن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر، فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) .

« يتبع »

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

الدين العام المصرى

نشأته وتطوراته

للأستاذ أحمد صادق موسى

ليس الدين شراً كله كما أنه ليس خيراً كله ، ولـكنه لم يأخذ أية أمة مثلما أخذ فى مصر طريقاً حافلاً بالحوادث ، مليئاً بالاضطرابات ، حتى أصبح تاريخه فى مصر تاريخاً لفترة طويلة فى حياتها السياسية والمالية ، شهدت فيها البلاد ألواناً شتى من التدخل الأجنبي ، وصوراً متعددة من التعسف ، وضروباً كثيرة من التقلب والاضطراب . ولقد انتقل حكم مصر إلى سعيد باشا والبلاد لا تعرف طريقاً إلى القروض الأجنبية ، حتى أحاط بالوالى الجديد بطانة من الفرنسيين وعلى رأسهم فردناند دلسيبس ، فزينوا له فوائد الإصلاح ويسروا له سبل الاقتراض ، فامتدت يد سعيد باشا إلى المصارف الأوربية للمرة الأولى ، ثم إلى الأهالى ، فاقترض عدة قروض كان منها الدين الثابت على المصارف الأجنبية ويقدر بمبلغ ٣٫٢٩٢٫٨٠٠ ج . ك . ومنها الدين السائر على الأهالى ويقدر بمبلغ ٧٫٨٦٧٫٢٠٠ جنيهاً . فلما توفى سعيد باشا ترك البلاد وعليها دين يزيد على الأحد عشر مليوناً من الجنيهات

وتولى الخديو إسماعيل عرش مصر ، وكان شاباً جريئاً طموحا ، يفيض قلبه بالآمال ، ويجيش صدره بأجمل ما يتمناه ملك يتفانى في خدمة بلاده ، فأسرعت البطانة الأوربية وخاصة الفرنسية بالالتفاف حوله ، كما التفت حول سلفه ، تلتمس فيه نقط الضعف ، فإذا بها ، ويا لفخره ... رغبته فى الإصلاح وحبه للانشاء . فراحت تزين له آفاق هذا المجال وتعده بالمال ، فاندفع نحو الاقتراض مدفوعاً برغبته الصادقة فى إصلاح حال مصر ، وبحسن نواياه وثقته بمن حوله ، وهم بطانة من الأجانب المرتزقة ، أو المصريين الذين أعمى الطمع قلوبهم وأضل أفئدتهم ، فصرفهم عن أن يخلصوا النصح لمولاهم ، أو يتبصروا عواقب الأمور ... وراحت القروض تتوالى على مر السنوات ، وترتفع الأرقام فى سرعة هائلة ، فإذا الديون الثابتة تبلغ من سنة ١٨٦٢ إلى سنة ١٨٧٣ (أى مع دين سعيد باشا الثابت) ٦٨٫٤٩٧٫١٦٠ ج . ك . والديون السائرة ٢٥ مليوناً من الجنيهات . وقد كان أكبر هـذه القروض الثابتة قيمة قرض سنة ١٨٧٣ بمبلغ ٣٢ مليون جنيه إنجليزى ، وكان سعر الفائدة ٧ ٪ ؛ على أنه إنصافا للحق لم تصل القيمة الاسمية من الديون الثابتة إلى الحـكومة ؛ إنمـا دخلها منها ٤٧٫٣٥٧٫٤٦١ ج . ك فقط ، وضاع الفرق ما بين القيمتين الاسمية والحقيقية ، ويقدر بمبلغ ٢١٫١٣٩٫٦٩٩ فى السمسرة والعمولة والمصروفات الأخرى ، حتى سعر الفائدة ٧ ٪ كان لا يعمل به ، بل كانت تتراوح الفائدة الحقيقية ما بين ١٢ ٪ و ٢٦ ٪ . وقد رهنت فى مقابل هـذه الملايين إيرادات بعض مديريات الوجهين القبلى والبحرى ، وإيرادات الجمارك والسكك الحديدية وجميع الثغور والعوائد المختلفة ، وإيرادات أملاك الدائرة السنية ، وكان يقدر الدخل فى الجميع بنحو ستة ملايين من الجنيهات ، وبهذا أصبح معظم إيرادات القطر رهناً لهذه الديون الأجنبية . ولم تزد الحالة إلا سوءا ؛ فـكان كل قرض يعقد يجلب معه الاضطراب الشديد والخلل السريع إلى المالية المصرية ، حتى أقبل عام ١٨٧٥ فإذا بالحـكومة

عاجزة عن تسديد فوائد هذه الديون ودفع الأقساط في مواعيدها ، وقد استخدم إسماعيل صديق باشا (المفتش) وزير المالية يومئذ كل ما تفتق عنه ذهنه من أساليب شيطانية لابتزاز الأموال لتسديد الأقساط . ولما شعر الخديو بشدة وطأة الحال عرض على انجلترا رغبته في أن تبعث إليه بمالي كبير يدرس الحالة المالية ويعاون الوزير المصري في إدارة شئونها وعلاج أسباب اضطرابها ، وجاء هذا الطلب في وقت كانت تطمع فيه كل من انجلترا وفرنسا في بسط إشرافها المالي على البلاد بعد ما أصابها من سوء وانحلال . ولذلك سرعان ما لبت انجلترا رغبته وأرسلت « بعثة » يرأسها «ستيفن كيف» لبحث الحالة المالية ، وقدم « كيف » مصر ووضع تقريراً مطولاً مستفيضاً عن الشئون المالية استعرض فيه أسباب اضطرابها وخللها ودواعي عقد القروض وقدم مقترحات تتلخص في تسديد القروض القصيرة الأجال وتحويل الباقي من الديون الأخرى الطويلة الأجل إلى دين واحد قدره ٧٥ مليون جنيه بفائدة سعرها ٧ ٪ . يسدد في ٥٠ سنة وأن تنشأ مصلحة للمراقبة يعهد إليها تسلم متحصلات بعض أنواع الإيرادات ؛ على أن لا تعقد الحكومة أي قرض جديد إلا بعد موافقتها عليه . غير أن الخديو اسماعيل أغضبه تقرير « كيف » فاتجه للمساعدة الفرنسية ؛ وما لبث أن قدم المالي الفرنسي الذي حضر إلى مصر لدراسة شئونها المالية ، مشروعاً يقضي بإنشاء صندوق الدين . ورأت انجلترا أن فرنسا تنافسها في الميدان فأرادت أن تحمل الخديو على قبول مقترحات كيف ، ولجأت إلى مناورة برلمانية في عهد دزرائيلي ونشرت تقرير كيف عن حالة مصر المالية فأغضب ذلك الخديو كل الغضب وانحاز بكليته إلى المشروع الفرنسي وأصدر أمراً عالياً في ٢ مايو ١٨٧٦ يقضي بإنشاء صندوق الدين على أن يؤلف من أعضاء أجانب يعينهم الخديو بناء على ما تعرضه الدول التابع لها كل منهم . ويستلم الصندوق إيرادات بعض مديريات الوجهي البحري والقبلي المخصصة لخدمة الدين ، وعوائد الدخولية في العاصمتين ، وإيراد الجمارك في جميع الثغور ، والسكك الحديدية وغير ذلك ، وحظر على الحكومة تخفيض أموال الأطيان المخصصة للدين بغير موافقة الصندوق ، كما تقرر أن تكون المحاكم المختلطة هي المختصة بالنظر في النزاع بين الصندوق والحكومة . وأعقب هذا صدور أمر عال آخر في ٧ مايو يقضي بتحويل ديون الحكومة الثابتة والسائرة إلى دين واحد قدره ٩١ مليون جنيه انجليزي بفائدة ٧ ٪ . ويسدد في ٦٥ سنة ، وأن يخصص لتسديده الإيرادات التي ذكرنا أبوابها وتقدر بمبلغ ٢٥٦ر٧٤٥ر٦ ج . ك ثم رأى الخديو زيادة في حسن الإشراف والإدارة إنشاء مجلس المالية الأعلى ، فأصدر أمراً بتشكيله في ١١ مايو من تلك السنة . بيد أن التنافس الإنجليزي الفرنسي كان يزداد شدة فدعا هذا إلى اتفاق الدولتين على المطالبة بوضع نظام يكفل لهما دقة الإشراف المالي على مصر ، وذلك بتعيين مراقب انجليزي للإيرادات ، ومراقب فرنسي للمصروفات . وقد تم لهما ذلك بإنشاء المراقبة الثنائية في الأمر العالي في ١٨ نوفبر سنة ١٨٧٦ على أن توضع السكك الحديدية وميناء الإسكندرية تحت إدارة لجنة أوربية . وبهذا اتخذ التدخل الأجنبي ثاني صوره الرسمية بعد إنشاء صندوق الدين . غير أن توحيد الديون جميعها أثار احتجاجات حاملي السندات القصيرة الأجل وسندات الدائرة السنية فدارت مفاوضات أعقبها صدور أمر عال في ١٨ نوفبر أيضاً بفصل ديون الدائرتين السنية والخاصة عن الدين الموحد وإصدار سندات ممتازة للمرة الأولى بمبلغ ١٧ مليون جنيه انجليزي بفائدة ٥ ٪ وتخفيض الدين الموحد بذلك إلى ٥٩ مليون ج . ك ، ثم عقد في شهر يونيه ٨٧٧ اتفاقاً خاصاً بديون الدائرتين السنية والخاصة وأصبحت قيمتها الرسمية ٩٠٠ر٥١٢ر٩ ج . ك — وعلى الرغم من هذا ازدادت الأحوال اضطراباً ، فأشار وزير المالية على الخديو بتشكيل لجنة للتحقيق فصدر أمر عال بها في يناير سنة ١٨٧٨ يقضي بتعيين لجنة التحقيق العليا التي كان يرأسها اسماً دليسبس ، وفعلاً السير ريفرز ولسون ، وذلك للبحث في أسباب الخلل ووضع المقترحات اللازمة لعلاج الاضطراب المالي والضيق الشديد . وفي أثناء قيام لجنة التحقيق بعملها تدخلت انجلترا وفرنسا بطلب تعيين وزيرين أوربيين في الوزارة المصرية وتحديد المسئولية الوزارية . وقد تم لهما ذلك ، فتولى السير ولسون وزارة المالية ، والمسيو دي بلينر وزارة الأشغال في الوزارة المختلطة التي تألفت في عام ١٨٧٨ ، وبهذا أصبح ولسون يشغل منصبين خطيرين . ولكن تأليف هذه

الوزارة ما لبث أن قوبل بامتعاض شديد من الوطنيين . وكان هذا العمل جرحاً عميقاً للكرامة المصرية القومية ، فاتجهت الأفكار كلها إلى التخلص منها . وكان الخديو أكثر الناس رغبة فى ذلك فما لبث أن انتهز فرصة وضع تقرير لجنة التحقيق العليا التى ذكرت فيه أن الحكومة المصرية فى حالة إفلاس ، وأنه يجب تشكيل لجنة لتصفية الحالة المالية والديون ، حتى أسقط الوزارة المختلطة وعين شريف باشا رئيساً للوزارة الوطنية البحتة ، وقوبل هذا العمل الجرىء من الخديو باحتجاجات شديدة من الوزيرين الأوربيين ودولتيهما ولجنة التحقيق وغيرهم ، ولكن ظل الخديو وشريف باشا على سياستهما الوطنية وإن كانا قد فاوضا الدول فى إعادة المراقبة الثنائية مرة أخرى

وفى ذلك الحين عقد قرض الدومين مع بنك روتشيلد بمبلغ ٨ر٥ مليون ج . ك فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٧٨ ، ثم صدر بعد ذلك مرسوم بالتصفية فى ٢٢ إبريل سنة ١٨٧٩ ، غير أن الدول لم تقبله واحتجت عليه . واستمر النزاع قائماً بين الخديو اسماعيل والدول الأوربية التى نشطت فى تألبها عليه ؛ وأقنعت الباب العالى بضرورة عزله للعمل على الإصلاح المالى ؛ وخضع السلطان العثمانى وأصدر فرماناً بهذا السؤل فى ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩ . وبدأ مع عصر الخديو توفيق عهد جديد تضافرت فيه جهود الدول على العمل لتحقيق غرضين أولهما : البحث الجدى المنتج لتوطيد الحالة المالية المصرية ، وثانيهما الوصول بالتنافس الإنجليزى الفرنسى إلى الاحتلال العسكرى للبلاد

ولقد سار الغرضان معاً فبدأت الحكومة المصرية بإصدار قانون التصفية العام فى ١٧ يولية سنة ١٨٨٠ ويقضى بإصدار سندات جديدة من الدينين الموحد والممتاز ، كما خفض سعر الفائدة فى الدين الموحد إلى ٤٪ ، وضمت أملاك الدائرتين السنية والخاصة إلى الحكومة ، وألغيت المقابلة على أن يسترد ما حصل منها على أقساط شهرية لمدة ٥٠ عاما — وفى هذه السنة نشرت أول ميزانية رسمية للحكومة ، ثم أدى الاتفاق الإنجليزى الفرنسى على احتلال البلاد احتلالاً مشتركاً إلى أن أسرعت انجلترا بالاحتلال الفردى سنة ١٨٨٢ متخذة من بعض الحوادث الداخلية ، كالثورة العرابية وغيرها مبرراً لتنفيذ هذا الاحتلال السريع . وقد نتج عن هذا كله اضطراب مالى سياسى جديد ، ورأت الحكومة أن تغطى عجز إيراداتها بعقد قرض جديد بضمان الدول ، وقد تم لها هذا بالأمر العالى فى ٢٧ يولية سنة ١٨٨٥ الذى يقضى بإصدار سندات بقيمة ٩٫٤٢٤٫٠٠٠ ج . ك . بفائدة ٣ ٪ وبضمان كل من انجلترا وألمانيا والنمسا والمجر وفرنسا وإيطاليا وروسيا . وعقد الخديو توفيق ثم الخديو عباس فيما بعد ثلاثة قروض قيمها لا تزيد عن الخمسة ملايين من الجنيهات ، كما حددها السلطان العثمانى ، وذلك لتسوية الحالة المالية . وبدأ الاستقرار المالى يدب بعد ذلك فى الحياة المصرية ، وعمل الإنجليز من جانبهم على التخلص من مشاركة فرنسا فى الإشراف على الشئون المالية ، فألغيت المراقبة الثنائية ، واستبدلت بالمستشار المالى الإنجليزى . وكان من بوادر الاستقرار أن أخذت الحكومة فى تكوين أموال احتياطية تحفظ فى صندوق الدين ، وأعقب ذلك تحويل الديون الممتازة والدائرة السنية والدومين إلى ديون جديدة بفوائد مخفضة . ولما كانت البلاد تحت السيادة العثمانية فقد لجأت تركيا إلى مصر لتكون ضامناً لها فى القسط السنوى للقرض العثمانى ٤ ٪ لسنة ١٨٩١ ، وذلك بتخصيص جزء من الجزية السنوية المستحقة لها لضمان القسط السنوى من هذا القرض الذى أصدره بنك روتشيلد بقيمة اسمية ٦٫٣١٦٫٩٢٠ ج . ك . وحدد له قسط سنوى قدره ٢٧٣٫٦٠٨ ج . م . ويستهلك فى مدة ٦٠ سنة تنتهى فى سنة ١٩٥١ ؛ وفى سنة ١٨٩٤ حدث تعهد مشابه حين قبل الخديو عباس الثانى أن تضمن مصر القسط فى القرض العثمانى ٣½ ٪ لسنة ١٨٩٤ ، وكانت قيمته الاسمية ٨٫٢١٢٫٣٤٠ ج . ك . ، ويستهلك فى مدة ٦١ سنة تنتهى فى سنة ١٩٥٥ ، وحدد قسطه السنوى بمبلغ ٣٢١٫٠١٨

وقد ظلت مصر تدفع أقساط هذين القرضين العثمانيين باعتبارها خاضعة للسيادة التركية ، حتى بعد أن رفعت عنها هذه السيادة فى سنة ١٩١٤ إلى أن قرر مجلس النواب فى سنة ١٩٢٤ أن تتوقف مصر عن دفع هذه الأقساط التى لا مبرر لدفعها من زوال السيادة التركية وإعلان الاستقلال ، ولكن معاهدة لوزان التى نفذت فى سنة ١٩٢٤ قررت إعفاء تركيا من كل

التزامات القروض العثمانية ورفع النزاع إلى المحاكم المختلطة التى قضت فى إبريل سنة ١٩٢٦ بإلزام الحكومة المصرية بالاستمرار فى دفع هذه الأقساط حتى نهايتها

ولما كانت فرنسا تناوىء انجلترا مناوأة شديدة بعد فشل الاحتلال المشترك لمصر وتندد بسياستها ، فقد عملت انجلترا على أن تسعى للاتفاق معها ، وقد تم هذا فى الاتفاق الإنجليزى الفرنسى سنة ١٩٠٤ الذى أطلقت فيه يد انجلترا فى شئون مصر مقابل إطلاق يد فرنسا فى شئون مراكش . وبعد ذلك الاتفاق صدر قانون جديد فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ يقضى بتنظيم الدين العام وباستمرار صندوق الدين فى عمله حتى ينتهى تسديد هـذه الديون ، وأن لا تخفض ضرائب الأطيان إلى أقل من ٤ مليون جنيه إلا بعد موافقة الدول ، وحددت التواريخ لبدء استهلاك هذه الديون

ولقد تمكنت الحكومة بعد ذلك من التخلص من بعض ديونها فسددت دين الدائرة السنية حتى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ وكذلك دين الدومين حتى أول يونيه سنة ١٩١٣

وقد شاع الاستقرار فى المالية المصرية وانبعث الاطمئنان إلى النفوس بعد التعديلات والإصلاحات المختلفة السابق ذكرها إجمالاً وقامت الحكومة المصرية بعد ذلك بإصدار أذونات الخزانة فى سنة ١٩٣٣ بمبلغ ٣ر٥ مليون جنيه مصرى استهلكت على دفعتين الأولى فى سنة ١٩٣٨ والثانية فى سنة ١٩٤٣ ، وكان الغرض من إصدارها تخفيف الأزمة الاقتصادية العالمية التى سببت هبوط أسعار المحاصيل الزراعية ، ثم أصدرت بعد ذلك قرض القطن الأول فى سنة ١٩٤١ بفائدة ٤ ½ ./. وبمبلغ ١٧ر٥ مليون جنيه مصرى طرح منها للاكتتاب عشرة ملايين استهلك منها حتى الآن ستة ملايين ، وأصدر بالباقى أذونات لمدة قصيرة . والثانى فى سنة ١٩٤٢ بفائدة ٤٪ وبمبلغ ١٢ مليون جنيه مصرى طرح منها للاكتتاب مليونان من الجنيهات

هذا هو مجمل تطور الدين العام ، ويضاف إليه ديون أخرى صغيرة استهلك بعضها والبعض الآخر فى دور الاستهلاك

على أنه يجدر بنا ذكر العمل الجليل الذى قامت به الحكومة بإلغاء صندوق الدين فى سنة ١٩٤٠ بعد مفاوضات مع الدول ونقل كل اختصاصاته إلى الحكومة التى يتولى البنك الأهلى – نيابة عنها – القيام بخدمة هذه الديون ، وقد صدر بعد هذا مرسومان ملكيان رقما ٦٨ و ٧١ لسنة ١٩٤٠ بتنظيم الدين العام على هذا الأساس الجديد

ويتضح مما تقدم أن الباقى من الدين العام هو : الدين المضمون ٣ ./. وقيمته الإسمية ٩ر٤٢٤ر٠٠٠ ج . ك وقسطه السنوى ٣٠٧ر١٢٥ ج . م والباقى منه ٧٨٥ر٤٠٠ ج . ك والدين الممتاز ٣½ فى المائة وقيمته الإسمية ٣١ر٦٤٧ر٠٠٠ ج . ك وقسطه السنوى ١ر٠٤٥ر٣٨٤ ج . م والباقى منه بعد الاستهلاك ٣٠ر٦٣٣ر٩٨٠ ج . ك ؛ والدين الموحد ٤ فى المائة وقيمته الإسمية ٦٠ر٩٥٨ر٢٤٠ ج . ك وقسطه السنوى ٢ر١٥٤ر٧٦٨ ج . م والباقى منه بعد الاستهلاك ٥٥ر٢٥٠ر٤٦٠ ج . ك ؛ وجملة الباقى من هذه الديون الثلاثة ٨٦ر٦٦٩ر٨٤٠ ج . ك وأما القرضان العثمانيان فجملة الباقى منهما معاً هو ٥ر٣٥٧ر١٨٠ ج . ك

وقد تقرر منـذ سنوات مضت أن تدفع الكوبونات والسندات فى هذه الديون بالعملة الورق الأسترلينية ؛ وقد بلغت قيمة ما تدفعه مصر سنوياً من فوائد لهذه الديون مع قسط استهلاك الدين المضمون أكثر من أربعة ملايين من الجنيهات المصرية . ولا ريب أن المشروع الجديد باستهلاك بعض هذه الديون وتحويل البعض الآخر إلى دين داخلى أخف حملاً ، عمل جليل يرفع عن كاهل البلاد عبئاً ثقيلاً باهظاً من بعض ملايين الجنيهات كما يرفع عنها ذكريات أليمة تردد صداها فى تاريخ مصر الحديث .

أحمد صادق موسى

الســـامر الموحش

إلى الحبيب الذي أسا كلامي
وغنيتـه أعـذب أنغـامي
ونهـل وعل من أحلامي
وعاطيتـه كأس أوهامي
فشربها ولم يذر بقيا
واليوم تناسته الدنيا
ولكن جرحي الغائر مات آسيه
وأنغامي لم تأنس إلى من تغنيه
وأحلامي لم تركن إلى من تساقيه
وأوهامي لم ترتع إلى من تعاطيه،
فهي تبعث الذكرى من بعيد وإلى بعيد
وأنا شقي بها ، وإن شئت فقل سعيد

تَلَفّتُ لا شملي جميعٌ ولا الهوى قريبٌ ولا فرعُ الصَّبا عبقٌ نضرُ
أحِبَّايَ لو غيرُ الردى حال دونكم دنا البرُّ في عينيَّ وانكشف البحر
بأسماعكم وقرٌ وقد رُحْتُ شاكياً وحاشا ففي سمع الثرى وحده الوقر
تناستكم الدنيا وحالت عهودُها كأن لم يرنِّحْ عِطفَها بكم الفخر
أنَزِّهُ آلامي عن الدمع والأسى فيؤنسها مني الطلاقة والبشرُ
وأضحك سخراً بالوجودِ ورحمةً وفي كبدي جُرْحٌ وفي أضلعي جمْر
يغالي بدنياه وَيجلو فتونها ودنياه في عينيَّ موحشةٌ قفرُ
وما حاجتي للنورِ والنورُ كامن بنفسي لا ظلٌّ عليه ولا سِتْرُ
وما حاجتي للأفق ضحيـانَ مشرقاً
ونفسي الضحى والأفق والشمس والبدر
وما حاجتي للكائنات بأسْرِها وفي نفسيَ الدنيا وفي نفسيَ الدهر
أهَدْهِدُ من أحزانها كلما وَنَتْ ويُسْلِسُ بعد المَرْيِ للحالب الدَّر
إذا رَكَدتْ بعد الهبوب فإنَّها لكالبحر من أخلاقه المدُّ والجزر

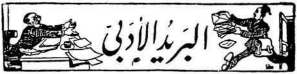
* * *

ويا سامر الأحباب مالك موحشاً معاذَ الهوى بل أنت يؤنسك الذكر
أديمُكَ مِنْ حَبِّ القُلوبِ تمزّقَتْ
عليه فَسَالَ الشوقُ وَالحب والطُّهرُ
إذا ظَمِئَتْ في قطعها البيدَ نَسْمَةٌ ألمَّتْ به وهناً فرَنَّحها السُّكْرُ
فيا للصَّبا العجلى إذا عبرَتْ به
تأنَّتْ كما يَرْتاحُ في الواحة السَّفْرُ
تمنَّيتُ إجـــلالاً لَهُ وَمحبّةً لوَ انَّ حصاهُ أنجُمُ الفلكِ الزُّهْرُ
وأجزَعُ إنْ مرّتْ به الريحُ زعزعاً
وأشْرَفَ حتّى جاوز الحاجةَ القَطْرُ
فليتَ الربيعَ الطَّلْقَ ساقاهُ كأسَهُ
مَدى الدَّهْرِ لا بَرْدٌ عليهِ ولا حَرُّ

* * *

ويا سامِرَ الأحبابِ طيفٌ ولا كرىً
وسُكْرٌ ولا راحٌ ورَيّا ولا زَهَرُ
كلانا على ما كَلّفَ النفس من رِضىً
أضَرَّ به نأيُ الأحِبّـــةِ والهَجْرُ
تَطُوفُ بِكَ الأحلامُ نشوى كمدِها
وينطف من أفيائِكَ الحب والعِطْرُ
ويضحكُ لي وجْهٌ نَدِيٌّ مُنَوّرٌ كأنْ لم يغيِّبْ من طلاقتهِ القَبْرُ
وَحَيّا ... كأن لم يَطوِهِ عَنّي الرَّدى
فهلْ بُعِثَ الأمواتُ أم ردَّه السِّحْرُ
تُلِمُّ به الذكرى فيَحْيا كَبارِقٍ طَواهُ الدُّجى عنى لِيُطْلِعَهُ الفجْرُ
وَيبْعَثُه حُبِّيْ وفي كُلِّ خافِقٍ
صَحِيحِ الهوى بَعْثُ الأحِبّةِ والنّشْرُ
فَيا قَلْبُ فيك الرّاحِلون وإن نأوا
وفيك الندامى والرياحِينُ والخَمْرُ
خَلَقْتَ على الموتى حَياةً قويّةً وطالَعَهُمْ مِنْكَ القِيامَةُ والحَشْرُ

(سوريا — اللاذقية) **احمد سليمان الاحمد**



الإبهام والغموض في التصوف

يذكرني مقال ابن الفارض المنشور بالرسالة ببحث جرى لي لم ير النور بعد ، لأن بعض الأذهان لم تتهيأ لقبوله ، وصلت فيه إلى أن التصوف نتيجة اختلاف في النفسية الجنسية للفرد . وقد اهتديت إلى هذه النتيجة من مقارنة نفسية لفجر الشباب حيث فورة الجنس على أشدها وما يصحبها من حالة نفسية لا تفرق عن التصوف إلا في كونها عابرة غير مستقرة ، ففي هذا الطور من التطور البشري يشعر الإنسان أنه جزء من الكون ، وكل ما في الكون يردد صداه في نفسه التي تتسع لقبول ما في الكون من إنسان وحيوان وأفلاك ، ويمتاز تفكير هذا الدور بالإبهام والغموض والإيثار كالتصوف تماماً

وقد وجدت في تاريخ ابن الفارض مادة دسمة لتدعيم بحثي ، فقد روى أن أحدهم استأذنه في شرح قصيدته « نظم السلوك » فسأله عن مقدار الشرح فقال : إنه سيقع في مجلدين . فضحك ابن الفارض وقال : « لو أردت لكتبت مجلدين لكل بيت فيها » وروى أيضاً أن محي الدين بن عربي بعث إليه في شرح هذه القصيدة فرد عليه الشاعر : « كتابك المسمى بالفتوحات شرح لها » والكتاب المشار إليه يقع في ٣٣٠٠ صفحة من الحجم الكبير

ففي هذا القول نجد معنى الإبهام والغموض ، فإن أفكار المتصوفين ليست واضحة في جوهرها ، وإن الشروح المقصودة هي تخريج لمعان لم تتبلور ، ونحن نعلم أن ميزة الفكر البشري هي الوضوح وسهولة التأدية ، ونجد حتى في الحيوانات العجم من تحسن التفاهم مع بعضها تفاهماً عجيباً فاضت لوصفه مؤلفات علماء الطبيعة ، ولولا سهولة الأداء التي امتاز بها الذهن البشري لما ترق الإنسان وصعد إلى درجات الرقي التي وصل إليها

وقد ادعوا أن هذا الغموض مقصود لحفظ أسرارهم ، والذي وصلت إليه هو أنه نقص في التعبير من علل نفسانية

أما عن إقحام الحب وما يتبعه من معان وصور في رياضتهم فهذا هو الجانب المحرج الذي أشرت إليه في أول هذه الكلمة ؛ ومجال هذا البحث في الصحف الطبية .. وفي رأيي أنه هو الباعث الأول على الغموض والإبهام .

كامل يوسف
عضو معهد الأبحاث الفلسفية البريطاني بلندن

١ — مؤتمر الأدباء الشباب في البلاد العربية

إن أدبنا العربي اليوم ، يمشي بخطوات سريعة ، ولكن أكثر الأدباء لا يستهدفون غاية ، فكل يسير على هواه . وإن هناك أموراً شتى يجب البحث فيها ، ومشكلات معدودات ينبغي حلها . ولا بد من هدف يسعى إليه الأدباء لتكون هناك وحدة أدبية عربية فيها توافق وانسجام ، تدفع بالأدب العربي الوليد خطوات ومسافات . ويعود نفعها على أبناء البلاد العربية بالخير والوئام . وإني أقترح أن يعقد مؤتمر للأدباء في عيد الأضحى يدعى إليه أدباء الأقطار العربية كلها ، يكون في القاهرة أو دمشق أو بغداد . فيعرف الأدباء بعضهم بعضاً ، ويتحادثون فيما ينقصنا ، وفيما يشوه أدبنا ، وفيما نحن بحاجة إليه

هذا نداء لأرباب القلم والصحف الأدبية لعلهم أن يرحبوا به ويسعوا إلى تحقيقه . ويتبادلوا الآراء فيه .

٢ — إلى الأستاذ دريني خشبة

قلت في مقالك الطريف عن نشأة الدرامة الإنجليزية (العدد ٥٣١) إن الدرامة قسمان ، النوع الأول : الإنجيلي أو السمي (؟) وهو يسمى Mysteries والنوع الثاني القديسي أو الكرامي واسمه Miracle

وفي ترجمة هذين الحرفين ، من التجوز ، الكثير ، وفي هذه الكلمات (القديسي ، الكرامي ، إنجيلي) من البشاعة ما يجعلها نافرة ، لا يرضى عنها من أبدع في نقل أساطير الإغريق ، الإبداع الكبير

فكلمة Mysteries التي تقابل Mystères الفرنسية ، كانت تطلق في القرون الوسطى على المسرحيات ذات الموضوع الديني أعني : a suyet religieux ، وكانوا يدخلون فيها الإله والقديسين والملائكة والشياطين . فترجمتها بالإنجيلية ، أي Evanglique غير صحيحة ، لأن الإنجيلية نسبة إلى الإنجيل Evangile وهذا غير الـ Mystère ؟ فإذا قلنا : الدرامة ذات الموضوع الديني ، أو الدينية (تحاشياً من إنجيلي وسمي) لكان أولى ولو ترجمت Miracle بالخوارق ، لكان أجلي وأصح . فنقول درامة الخوارق لأن القديسي نسبة إلى قديس أي Saint ، ومعنى Miracle الخوارق التي تخرق قوانين الطبيعة . فهي في الأنجليزية : A surnatural act وفي الفرنسية :

(Bait suranaturel, contraire au lois de la nature)

هذا ولك شكري على دعوتك إلى الأدب المسرحي . وإعجابي بإنتاجك

(دمشق) **صلاح الدين المنجد**

المذاهب السياسية المعاصرة

لماذا أخص هذا الكتاب من سلسلة « إقرأ » الثمينة بالكتابة ولم أفعل ذلك من قبل، مع ما للكثير من كتب هذه السلسلة من القيمة الأدبية التي لا تنكر؟ هل ذلك لأن الأستاذ أدهم هو صديقي وزميلي؟ إن كان هذا فالأستاذ عبد الرحمن صدقي هو من أعز أصدقائي على وأحبهم إلى نفسي، ومع ذلك فأنا لم أكتب عن كتابه كلمة، مع ما كان يستحقه كتابه من ثناء وإطراء ونقد . . . الحقيقة إذن هي أنني لم أقرأ في السنوات الأخيرة في مصر كتابا مركزا صغير الحجم كبير القيمة تشتد حاجة القراء العرب إليه مثل هذا الكتاب ... إنه خلاصة لمائة كتاب على الأقل من مئات الكتب التي أعرف أن صديقي أدهم يقرأها ويهضمها ويجيد استيعابها ونقل لبابها لقرائه الكثيرين المعجبين به ... إنه ليس من هذه الكتب التي يؤثرها القارئ العجل الذي لا صبر له على المذاهب السياسية ونظرياتها العميقة التي تصدع الرأس وتكد الذهن وتحتاج إلى الصبر وطول الأناة . .

إن كتيب الأستاذ أدهم هو استعراض جميل لهذا الموكب الحافل من أفكار الإنسانية التي تنشد الضوابط وتتوق إلى المثل، وهو وكتاب الأستاذ فؤاد صروف (وعاءان ملئا علماً وتفكيرا) كما كان يعبر الأقدمون . . . لقد جهدت أن أتلقف بعض المؤاخذات لأجعل منها مادة لنقد الكتاب فلم أوفق إلا إلى الأخطاء المطبعية وإلا إلى بعض التعبيرات التي كانت في حاجة إلى المراجعة والتهذيب . . . على أنني أقترح على صديقي أدهم أن يعود إلى كتابه القيم فيضم إليه فصولا عن تاريخ نشأة تلك المذاهب وتراجم لزعمائها ورجال الفكر الذين ألهموا هؤلاء الزعماء مناهجهم وكانوا سبباً في قيام تلك الحركات الفعالة التي غيرت وجه التاريخ وانحرفت أو لم تنحرف بموكب الإنسانية ... إن الكتاب إذا صدر على هذا النحو كان الأول من نوعه في المكتبة العربية . . . على أنه على حالته الراهنة هو الأول من نوعه في المكتبة العربية كذلك ...

ثم ماذا عندي غير التهنئات بعد هذه الكلمة المقتضبة؟

دريني خشبة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)